

في نور محمد فاطمة الزهراء

غير أن استهجانَه لم ينل شيئاً من سكينه شيخ بني هاشم، بل زاده طمأنينه، فقال بهدوء: إنّي أنا ربّ الإبل أمنعها، أمّا البيت فله ربّ يمنعه. عندئذ استشاط «أبرهة» غضباً، وصاح باعترار: وما كان ليمنع منّي. قال عبدالمطلب بلا اكتراث: أنت وذاك! وعاد بإبله [307]. * * * ليس حرصاً على نَشَبِه [308] كان موقف الشيخ من عدوّه، ليس خوفاً من جبروت القوة، ليس تخاذلاً ولا ثبوت همّه، ليس تواكلاً ولا تغافلاً عن التبعة. ليس كموقف بني إسرائيل يوم حثّهم موسى: أن ادخلوا الأرض المقدّسة [309]، فازوروا [310] عنه وأجابوه: (فَإِذْ هَبَّ أَزْتَرٌ وَرَبُّكَ فَفَقَاتِلَا إِرْزَاقًا هَاقًا قَاعِدُونَ) [311]. أجل، ليس هذا كلّها، ولا بعضه. أم أين الحرص وقد قلّد عبدالمطلب إبله التي استردّها، وشعّرها، وساقها هدياً إلى الكعبة؟ أم يعرف الرهب سبيلاً إلى قلب من يجابه الأسد في عرينه بما يكره؟ أم هو تخاذل أن يعقد الشيخ راية الحرب، ويجمع أجلاّد فتيان قومه يعسكرون بمنى على أهبة؟ أم كيف يسوغ دمه بالتنصّل من التبعة وقد دفع بالنساء والأطفال وضّعة الشيوخ والكهول، فتحرّزوا - خشية عليهم من معرّة السبي والأسر - برؤوس الجبال، وقمم الشعاب في مكة؟ لا، بل صدّى لإحساس صادق بما سوف يقع كان موقفه من «الأشرم».